الحديث الثالث: ((ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم))

بحث في مشكل الحديث

إعداد / مها مصطفى توفيق إبراهيم

قسم الفقه وأصوله

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

Arwaroka22@yahoo.com

خلاصة—هذا البحث يبحث في الحديث الثالث: ((ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم)).

الكلمات الافتتاحية: الحديث الثالث، ما منكم من أحد ، إلا أن ربه، سيخلو به، كما يخلو أحدكم.

I. *المقدمة*

التعرف على الحديث الثالث : ((ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدكم)).

II. موضوع المقالة

تخريج الحديث: حديث عبد الله بن عُكيم، قال : سمعت عبد الله بن مسعود في هذا المسجد يبدأ باليمين قبل الكلام، فقال : ((ما منكم من أحد إلا أن ربه سيخلو به كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم، ما غرَّك بي؟ ابن آدم ما غرَّك بي؟ ابن آدم، ماذا أجبت المرسلين؟ ابن آدم ماذا عمِلت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت)).

وجه الإشكال في الحديث: كون الله يخلو بعباده ويدنو منهم: وقد استشكل بعض الناس في هذا الحديث كون الله يخلو بعباده ويدنو منهم؟ ولا إشكال في ذلك، لمن آتاه الله تعالى عقلًا سليمًا صادقاً، مجردًا من الشبهات، والتزم الانقياد الكامل إلى نصوص الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح من هذه الأمة.

ومن ظن أن هذا يوصف به الرب لا يكون إلا مثل ما توصف به أبدان بني آدم، فقد غلط غلطًا عظيمًا . وقربه سبحانه ودنوه من بعض مخلوق اته، لا يستلزم مشابهة بالمخلوقات، ولا أن يكون محتوى في المخلوقات، كما ادَّ عاه من ادعاه من الطوائف المخالفة لمنهج السلف في مسائل الاعتقاد، وهذا كقربه إلى موسى لما كلمه من الشجرة، فأخبر أنه ناداه من جانب الطور، وأنه قربه نجيًّا.

وأيضًا قال: والطور هو الجبل، فالنداء كان من الجانب الأيمن من الطور ومن الوادي، فإن شاطئ الوادي جانبه، أي : بالجانب الغربي، وجانب المكان الغربي؛ فدل على أن هذا الجانب الأيمن هو الغربي لا الشرقي، فذكر أن النداء كان من موضع معين، وهو الوادي المقدس طوى، من شاطئ الوادي الأيمن من جانب الطور الأيمن من الشجرة، وذكر أنه قَرَّبه نَجيًا فناداه وناجاه، وذلك المنادي له، والمناجي له، هو الله رب العالمين لا غيره، ونداؤه ومناجاته قائمةٌ به، ليس ذلك مخلوقًا منفصلًا عنه، كما يقوله من يقوله، إن الله لا يقوم به كلام، بل كلامه منفصل عنه مخلوق، وهو ناداه ونا جاه ذلك الوقت، كما دل عليه القرآن، لا كما يقوله من يقول : لمْ يزل مناديًا مناجيًا له، ولكن ذلك الوقت خلق فيه إدراك النداء القديم الذي لم يزل ولا يزال.

فهذان قولان مبتدعان، لم يقل واحدًا منها أحدٌ من السلف. وإذا كان المنادي هو الله رب العالمين، وقد ناداه من موضع معين وقربه إليه، دل ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى ع مع أن هذا قرب مما دون السماء.

وفي الصحيحين عن النبي : ((يقول الله تعالى : من تَقَرَّبَ إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذِراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هَرْوَلَةً)).

وقُربه من العباد بتقربهم إليه مما يقرّ به جميع من يقول : إنه فوق العرش، سواء قالوا مع ذلك: إنه تقوم به الأفعال الاختيارية أو لم يقولوا.

وأما من ينكر ذلك:

فمنهم من يفسر قرب العباد : بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه، فيكونون قريبين منه، وهذا تفسير أبي حامد والمتفلسفة؛ فإنهم يقولون : الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة.

ومنهم من يفسر قربهم بطاعتهم : ويفسر قربه بإثابته . وهذا تفسير جمهور الجهمية؛ فإنهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلًا.

ومما يدخل في معاني القرب وليس في الطوائف من ينكره، قرب المعروف والمعبود إلى قلوب العارفين العابدين ، فإن كل من أحب شيئًا فإنه لا بد أن يعرفه ويقرب من قلبه، والذي يُبغضه يبعد من قلبه . لكن هذا ليس المراد به أن ذاته نفسها تحلّ في قلوب العارفين العابدين، وإنما في القلوب معرفته وعبادته، ومحبته، والإيمان به ، ولكن العلم يطابق المعلوم.

وهذا الإيمان الذي في القلوب هو المثل الأعلى الذي له في السموات والأرض.

وقد غلط في هذه الآية طائفةٌ من الصوفية والفلاسفة وغيرهم، فجعلوه حلول الذات، واتحادها بالعابد والعارف، من جنس قول النصارى في المسيح، وهو قولٌ باطل.

والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة، وهو قول الأشعري وغيره من الكُلّابية؛ فإنهم يثبتون قرب العباد إلى ذاته، وكذلك يثبتون استواءه على العرش بذاته، ونحو ذلك، ويقولون : الاستواء فعل فعله في الع رش فصار مستويًا على العرش . وهذا أيضا قول ابن عقيل، وابن الزاغوني، وطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم.

وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يُثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارات بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش . وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر.

وأول من أنكر هذا في الإسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة، وكانوا يُنكرون الصفات والعلو على العرش، ثم جاء ابن كُلّاب فخالفهم في ذلك، وأثبت الصفات والعلو على العرش، لكن وافقهم على أنه لا تقوم به الأم ور الاختيارية؛ ولهذا أحدث قوله في القرآن: "أنه قديم لم يتكلم به بقدرته ". ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف، بل المتواتر عنهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته.

فالذين يُثبتون أنه كلّم موسى بمشيئته وقدرته كلامًا قائمًا به، هم الذين يقولون: إنه يدنو ويقرب من عباده بنفسه. وأما من قال: القرآن مخلوق أو قديم، فأصل هؤلاء أنه

لا يمكن أن يقرب من شيء ولا يدنو إليه، فمن قال منهم بهذا مع هذا، كان من تناقضه؛ فإنه لم يفهم أصل القائلين بأنه قديم.

المراجع والمصادر

١. الطحاوي، أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحقيق :شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٩٩٤م.
٢. الأصبهاني، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، مشكل الحديث وبيانه، حلب، دار الوعي، ١٩٨٢م.
٣. موسوعة علوم الحديث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٤. الزركشى، بدر الدين الزركشى، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
٥. الغنيمان، عبد الله الغنيمان ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، المدينة المنورة، مكتبة الدار السلفية، ١٤٠٥هـ.
٦. بن منبه، همام بن منبه ، صحيفة همام بن منبه ، شرح وتحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ١٩٨٥م.
٧. الدينوري، شهدة بنت أحمد بن فرج الدينوري ، العمدة في مشيخة شهدة، تحقيق: رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠م.
٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م.
٩. أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شه بة، دفاع عن السنة ، مكتبة السنة، ١٩٨٩م.
١٠. عبد الغني عبد الخالق، حجية السنة، دار القرآن الكريم، ١٩٨٦م.
١١. الأعظمي، محمد مصطفى الأعظمي، منهج النقد عند المحدثين ، مكتبة المجلس، ١٩٨٢م.